(٢١)

عدوان

وليس هو بالعدوان(١) الذى يقدم عليه الرجل الشجاع الجرىء القادر على أن ينهض بالتبعات ويثبت لعظائم الأمور، وجلائل الأعمال . وإنما هو عدوان الرجل الضعيف الذى يشفق من الظل ويخاف من الخيال ، ويرى فى كل ما يحيط به ، ومن يحيط به عفريتا من الجن ، أو شيطانا من الإنس ، يريد به الشر، ويدبر له الكيد ، ويدفعه إلى المكروه .

وليس هو بعدوان الرجل الذى يهيئه عمله للعدوان ، أو يعرضه عمله للتورط فى العدوان . وإنما هو عدوان الرجل الذى يجب أن يمنعه عمله

---

(١) ٤ — ٤ — ١٩٣٣ ، عدد ٢٣٥٤

عن كل إثم ، وينهاه منصبه عن كل بغى ، وترده الأخلاق عن كل ما فيه جور أو ظلم أو مخالفة عن أمر الله .

نعم هو عدوان قوامه الضعف وخور الطبيعة ، صدر عن رجل لم يكن ينبغى أن يصدر عنه عدوان ، بل لم يكن ينبغى أن يصدر عنه إلا البر الذى ليس فوقه بر ، والخير الذى ليس فوقه خير . وصدر فى ظروف ما كان ينبغى أن يشوبها شر ، أو يكدر صفوها مكدر . وهذا العدوان الذى تتحدث السياسة صباح اليوم بأن شيخ الأزهر قد اقترفه ، وتورط فيه ، يوم تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فشرف كلية أصول الدين بزيارته الكريمة .

فالسياسة تحدثنا أن جماعة من أبناء الأزهر هم من علماء التخصص أرادوا أن يستقبلوا مع الأزهريين حامى الأزهر وراعيه ، وأن يشتركوا مع الأزهريين فى الإعراب لحامى الأزهر وراعيه عن حبهم له ، وشكرهم لنعمته المتصلة عليهم ، وأملهم فى أن ترقى إليهم عناية المليك ورعايته من خير إلى خير ، ومن فوز إلى فوز ، ومن إصلاح إلى إصلاح . فأبى عليهم الشيخ أن ينهضوا بهذا « الواجب » وامتنع عليهم الشيخ أن يؤدوا هذا الشكر . وصدهم الشيخ عن أن يعلنوا مع إخوانهم وفاءهم وإخلاصهم لصاحب عرش مصر ، وحامى الأزهر والأزهريين .

وما علمنا قبل اليوم أن من الأعمال التى ينهض بها شيخ الأزهر وزعيم الرياسة الدينية العليا أن يمنع الناس من أداء الواجب ، أو يصرف الناس عن النهوض بالحق ، أو يذود الناس عن الاعتراف بالجميل لصاحب الجميل ، ولاسيما حين يكون صاحب الجميل هو صاحب الجلالة المصرية الذى لا يدع سبيلا إلا سلكها ليصلح من أمر الأزهر ، ويبعث فيه القوة والحياة ، ويرفع الأزهريين إلى حيث ينبغى أن يكونوا من حياة مصر العاملة الراقية .

نعم ماعلمنا قبل اليوم أن من أعمال شيخ الأزهر أن يحول بين الأزهريين وبين زائرهم العزيز عليهم ، الكريم فى نفوسهم ، ومع ذلك فقد فعل شيخ

الأزهر هذا ، ، وتورط فيه إن كان ما تحدثت به السياسة صحيحا . ولابد من أن يتبين أولو الأمر أصحيح ما تحدثت به السياسة ، فيسأل الشيخ عنه ، ويلام الشيخ فيه . أم غير صحيح ما تحدثت به السياسة فيعلن إلى الناس أن شيخ الأزهر ،ورئيس هيئة كبار العلماء لم يمنع الأزهريين من أداء الواجب، ولم يصرفهم عن الاحتفال بالزيارة الملكية الكريمة .

والسياسة تروى لنا أنشيخ الأزهر لميكن قويا فى عدوانه ، ولا شجاعا فى جوره ! وإنما سلك إلى العدوان طريقا يتنزه عنها رجال الدين ، أويجب أن يتنزه عنها رجال الدين ! هى طريق الوشاية والسعاية واستعداء إدارة الأمن العام على هؤلاء الناس — أستغفر الله — على هؤلاء العلماء الأزهريين الذين يجب أن يحميهم الشيخ ويذود عنهم ، ويحوطهم من سعاية الساعين، ووشاية الواشين .

زعموا للسياسة أن الشيخ أنبأ إدارة الأمن العام بان هؤلاء العلماء يريدون أن يكدروا صفو الزيارة الملكية ؛ فسمعت إدارة الأمن العام للشيخ ، ومن الحق عليها أن تسمع له فى مثل هذه الأشياء ، ثم أرسلت إلى هؤلاء الناس من روعهم فى بيوتهم آخر الليل،وانتزعهم من بين أهلهم وأبنائهم،وساقهم فى ظلمة الليل وهدوء الناس إلى حيث السؤال والجواب والتحقيق . . . ! وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، ثم أطلقهم مع الصبح وبث حولهم العيون ، ووكل بهم الأرصاد .

ماذا ؟

أحدث هذا كله حقا ؟ وكان مصدره شيخ الإسلام ؟! وإذن فماذا ترك الشيخ لغيره من السعاةوالوشاة ، والذينيتربصون الدوائر بالناس،ويدبرون لهم الكيد بالليل والنهار ؟ إحدى اثنتين : إما أن يكون هذا قد حدث من الشيخ ، فلابد من سؤاله عنه ، وأخذه به ، فان شيوخ الإسلام لم ينصبوا ليروعوا الآمنين ، ويزعجوا المطمئنين ، ويقولوا فى الناس بغير الحق . وإنما ينبغى أن يكونوا رسل أمن وسلام ودعاة هدوءوطمأنينة ، وحراصا

على الصدق والجد والإخلاص . وإن لم يكن هذا قد حدث فيجب أن يبين للناس ليعلم المسلمون أن الأزهر برىء من أن يكون وكرا من أوكار الكيد، ومكمنا من مكامن الساعين والواشين .

يجب أن يعلم الناس جلية الأمر فى هذا ، فنحن نعلم أن التجاء الشيخ إلى إدارة الأمن العام كثير ، وإنه كثير فى غير طائل ولا جدوى . ويذكر أنه التجأ إلى إدارة الأمن العام فى الصيف الماضى فكلفها من مصادرة الكتب والاعتداء على حرية العلم شراً ثقيلا . ثم ظهر بعد ذلك أنه كان آثما فيما فعل وأن إدارة الأمن العام كانت متورطة حين استجابت له وصدعت بأمره .

يجب أن يعلم الناس جلية هذا الأمر ، فقد يروعهم أن يكون بين الأزهريين — سواء فيهم العلماء والطلاب — من يفكر فى أن يكدر صفو الزيارة الملكية للأزهر . فاذا كان الشيخ قد سعى حقا بهؤلاء العلماء إلى إدارة الأمن العام فروعهم وأفزعهم ، وبث عليهم العيون والأرصاد ، وحال بينهم وبين الاشتراك فى استقبال الزائر الكريم فلابد أن يعلم الناس نتيجة هذا التحقيق . أبين الأزهريين حقا جماعة كانوا يريدون أن يكدروا صفو الزيارة الملكية للأزهر ؟ ماذا أثبت التحقيق من أمر هؤلاء ؟ وبماذا كان هؤلاء الناس يريدون أن يكدروا صفو الزيارة الملكية ؟ أبشىء يبيحه القانون ؟ فليس هناك تكدير للصفو إذن . أم بشىء ينكره القانون ؟ فلم لم يسق هؤلاء الناس إلى حيث يسألون عما دبروا .

كل هذه أشياء يجب أن تعنى بها الحكومة ، وأن تبين للناس جلية الأمر فيها . وأكبر الظن أن الأمر كله وهم وخوف من الظل وفزع من الخيال .

لقد أنبئنا أن الشيخ كان مسرفا فى الخوف حتى انتهى به الإسراف إلى شىء لا يخلو من طرافة ! فقد زعموا أنه لم يدع أستاذا ولا مدرسا يقول بين يدى جلالة الملك شيئا حتى اتفق معه على تهييء هذا الشىء ، ثم قرأه وأنعم النظر فيه ، وحذف منه وأضاف إليه ، وجعل ما ألقى بين يدى صاحب الجلالة من الدروس أشبه بما يلقيه الممثلون فى ملاعب التمثيل ... ! يحفظونه

فيتقنون حفظه : وقد هيء لهم من قبل ، ثم يلقنونه فيحسنون إلقاءه .وإذن فلم ير جلالة الملك الأزهر كما هو فى حقيقة الأمر ، وكما يحب جلالة الملك أن يراه ليغتبط برقيه إن كان قد ارتقى ، وليتفضل فيأمر بالإصلاح إن كان فى حاجة إلى الإصلاح . وإنما رأى جلالة الملك الأزهر كما هيأه له الشيخ وأعوان الشيخ . ولعل ما رآه جلالة الملك أبعد الأشياء عن تصوير الأزهر على الوجه الصحيح .

أنصح هذا لولى الأمر أم غش ؟ أجد هذا أم هزل ؟ ومع ذلك فقد أنبئنا أنه كان ، وكذلك تقدم إلى الزائر الكريم صور ليس وراءها شيء . ويتقدم الشيخ بين يدى الزيارة باغراء إدارة الأمن العام بجماعة من العلماء تروعهم وتفزعهم وتغرى بهم العيون والأرصاد .

ويقال بعد ذلك أننا نعيش فى القرن العشرين ، وفى ظل الدستور والنظام ، وفى جو إسلامى خالص صفو بريء من الكيد ، بريء من الغش بريء من التدليس .

كل شيء ممكن فى مصر حتى أن يسعى شيوخ الأزهر بعلماء الأزهر إلى إدارة الأمن العام ...!